(١)

الشهامة والنجدة واغاثة الملهوف

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، **وبعد :**

فمن محاسن الإسلام أنه دين ربط بين الشريعة والأخلاق والقيم الإنسانية ، فلم يترك خُلقًا حسنًا ، ولا فضيلة من الفضائل إلا دعا إليها ورغَّب فيها ، ومن تلك القيم الفاضلة التي دعا إليها وحثَّ على التخلق بها : الشهامة والنجدة وإغاثة الملهوف ، فهي قيم تنبئ عن علو الهمة وشرف النفس ، بها تتآلف القلوب ، وتزول العداوة بين الناس.

والشهامة والنجدة وإغاثة الملهوف من أهم القيم النبيلة ، والصفات العظيمة التي تميز الإنسان الأصيل عن غيره ، فضلاً عن كونها من صفات الرسل (عليهم السلام) ، فهذا نبي الله موسى (عليه السلام) حين خرج من مصر متوجهًا إلى مدين ، فلما وصلها وجد جماعة من الناس يسقون أنعامهم ، ووجد من دونهم امرأتين لا تسقيان ، تذودان غنمهما عن ورود الماء حتى يفرغ الرجال الأقوياء من سقي أنعامهم ودوابهم ، فلما عرف (عليه السلام) حاجتهما لم ينتظر منهما طلبًا ولو بكلمة ، بل تحرَّكَت فيه عوامل الشَّهامة والرجولة ، فتقدم بنفسه (عليه السلام) وسقى لهما، حيث يقول الحق سبحانه:{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ

وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}. ومن ثمَّ فإن نُصرةَ الإنسان وإغاثتَه من القيم النبيلة التي أمر بها الدين ، يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا، كَيْفَ أَنْصُرُهُ ؟ قَالَ: تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنْ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يأخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أوشَكَ أنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ) ، بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) عدَّها من حقوق الجوار التي يجب الوفاء بها ، حيث قال : (أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ ؟ إِنِ اسْتَعَانَ بِكَ أَعَنْتَهُ ، وَإِنِ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ ، وَإِنِ افْتَقَرَ عُدْتَ عَلَيْهِ ، وَإِنِ مَرِضَ عُدْتَهُ ، وَإِنْ مَاتَ اتَّبَعْتَ جَنَازَتَهُ ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأْتَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ ...) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ) ، قِيلَ : مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : (إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبَعْهُ).

وقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) أعظم الأمثلة في حسن الخلق ، على نحو ما تحدثت به السيدة خديجة (رضي الله عنها) حين قالت : كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ)، فكانت حياته (صلى الله عليه وسلم) خير مثال يحتذى به في مروءته وشهامته ومساعدته لكل من يطلب العون والنجدة والإغاثة ، وأنّ من أغاث النّاسَ وأعانَهم لابدّ من أن يغيثَه ربُّه ويعينَه ، فالجزاء دائمًا من جنس العمل.

وتتجلى شهامته (صلى الله عليه وسلم) عند الشدائد ، حيث كان (صلى الله عليه وسلم) يتصدر المواقف والمصاعب بقلب ثابت وإيمان راسخ ، فحينما فزع أهل المدينة من صوت عالٍ وأراد الناس أن يعرفوا سبب الصوت ، أقبل عليهم النبي (صلى الله عليه وسلم) وخرج لهم قبل الناس لمعرفة الأمر وليطمئنهم ، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، قَالَ: وَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً سَمِعُوا صَوْتًا، قَالَ: فَتَلَقَّاهُمُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ (مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ)، وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ، فَقَالَ: (لَمْ تُرَاعُوا ، لَمْ تُرَاعُوا) أي : (لا تخافوا ولا تفزعوا).

لقد كانت مواقف النبي (صلى الله عليه وسلم) مضرب المثل في الشجاعة والشهامة والنجدة وإغاثة الملهوف ، مما جعل الصحابة (رضي الله عنهم) إذا حمي الوطيس واشتد البأس يحتمون به (صلى الله عليه وسلم) ، يقول علي (رضي الله عنه): (كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ – اشتدت الحرب – ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَما يَكُونُ أَحَدٌ مِنَّا أَدْنَى إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ).

ومن تأمل في وصايا الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعقله وقلبه أبصر فيها سماحة الإسلام في أسمى درجاتها وأرقى معانيها ، وذلك حين قال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ) ، فقد علمنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) كيف نتعامل بالأخلاق الكريمة ، والقيم النبيلة التي تقاس بها الرجال ، وتوزن بها العقول ، وتتميز بها شخصية المسلم عن غيره.

وجدير بالذكر أن تقديم العون للناس سلوك إسلاميّ عظيم ، وخلق رفيع ، جعله الإسلام من أعظم أعمال الخير التي ينبغي أن يتنافس فيها المتنافسون ، فلما سئل (صلى الله عليه وسلم) : أي النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ قال (صلى الله عليه وسلم) : (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ – يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا – وَمَنَ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ) ، فالذي يقضي حوائج الناس ويسعى في قضاء مصالحهم أعظم أجرًا من المعتكف في بيوت الله (عز وجل) ؛ فإغاثة الملهوف وإعانة المحتاج والسعي في قضاء حوائج الناس دليل على قوة الإيمان بالله (عز وجل).

وقد تكفل الله (عز وجل) لمن فرج كربة المكروب وأغاث الملهوف أن يفرج عنه كربة من كربات يوم القيامة ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (... وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ) ، بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) عدَّها من الصدقات التي يجب على كل مسلم أن يسارع إليها لينال أجرها وبرها وبركتها ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ) ، فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: (يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ) قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟

قَالَ: (يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ) قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: (فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ).

ومن الشهامة والمروءة ما أمرنا به النبي (صلى الله عليه وسلم) وما تربينا ونشأنا عليه من ضرورة احترام الكبير ، وإكرام الصغير ، ورعاية الضعيف ، والمريض ، واليتيم ، وحسن معاملة النساء ، وكذلك إرشاد الضال ، وإغاثة الملهوف ، وتقديم العون لكل من يحتاج إليه ، ومراعاة الآداب العامة في الطرقات والمنتديات العامة ووسائل المواصلات ، إذ يفسح الصغير للكبير ويجلسه ويكرمه ، ويعني الناس باحترام المرأة وتقديرها ، ومراعاة ذوي الاحتياجات الخاصة والمسابقة في إكرامهم ، فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) حثَّنَا على احترام الكبير وتوقيره ، فقال : (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا) ، وأخبرنا (صلى الله عليه وسلم) بفضل رعاية الضعفاء فقال : (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ) ، وجعل إغاثة الملهوف وإرشاد الضال من حقوق الطريق ، فحين نهى (صلى الله عليه وسلم) أصحابه عن الجلوس في الطرقات إلا إذا أعطوا الطريق حقها، بيَّن لهم أن من حق الطريق: إغاثة الملهوف ، وإرشاد الضال ، فقال : (... وَتُغِيثُوا الْمَلْهُوفَ ، وَتَهْدُوا الضَّالَّ) ، وفي رواية : مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِقَوْمٍ جُلُوسٍ فِي الطَّرِيقِ، قَالَ: (إِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ فَاعِلِينَ ، فَاهْدُوا السَّبِيلَ، وَرُدُّوا السَّلَامَ ، وَأَغِيثُوا الْمَظْلُومَ).

ولقد كان لهذه الصفات العظيمة والقيم الراقية في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) أثرها الطيب في تربية أصحابه الكرام (رضوان الله تعالى عليهم) فضربوا أروع الأمثلة في هذه القيم النبيلة ، من الشهامة والنجدة وإغاثة الملهوفين وغيرها ، ومن

ذلك ما رواه الشيخان عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَقَالَتْ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى ، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ : لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ ، قَالَ : فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : (قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن الشهامة والنجدة وإغاثة الملهوف هي عنوان الايجابية في حياة الإنسان ، الإيجابية التي تعني الاستجابة والتلبية السريعة لقضاء حوائج الناس ابتغاء مرضاة الله (عز وجل) ، ومن ثم يتحقق قول الله تعالى:{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

وجدير بالذكر أن للشهامة والنجدة وإغاثة الملهوف ثمرات وفوائد متعددة ، فهي من أعظم العبادات التي يتقرب بها الإنسان إلى الله (عز وجل)، فينال رضا الله (عزّ وجلّ) لإغاثة إخوانه ومَدِّ يد المساعدة لهم ، فإذا أغاث الإنسان أخاه رزقه الله (عزّ وجلّ) بمن يغيثه عند شدّته ، إضافة إلى أنها تنجي صاحبها من كرب يوم القيامة.

وإذا كان التخلق بهذه الأخلاق الكريمة هو شأن العظماء ، فإن تركها والتخلي عنها هو عنوان لقسوة القلب والأنانية وحبِّ الذَّات ، وتقديم المصلحة الخاصَّة على العامة وعدم مشاركة الغير آلامهم ، كما أنها تؤكد على التنصُّل من المسئولية والخسة التي لا تليق بإنسان سليم الطبع نقي السريرة ، وهذا ما حذر منه نبينا (صلى الله عليه وسلم) حين قال: (مَا مِنَ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنَ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ (عز وجل) فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ).

فما أحوجنا اليوم إلى التمسّك بهذه الأخلاق الإسلاميّة الرّفيعة الّتي تجعل الإنسان مرفوع الهامة ، واثقا من النّصر ، فتتحقق وحدة الأمة ويزداد تلاحمها وتعاونها على البر والتقوى.